(( **وقفات مع الغيث** ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

(( الأولى ))

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، خلقت فسويت، وأمتّ وأحييت، وأغنيت و أقنيت، وأضحكت وأبكيت، والمرجع والمآل إليك .

وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله ،القائل : أنا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ. [رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححه الألباني في المشكاة (5759)].

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني

وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خلقتَ مبرءاً منْ كلّ عيبٍ

كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

فاللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه. ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ آل عمران: ١٠٢

ضجت محاريب بلادنا صبيحة يوم أمس بصلاة الاستسقاء ، وسؤال الله الغيث، والمدد من السماء، وشكى المسلمون إلى ربهم جدب الأرض ، وحبس الغيث، وجفاف الأنهار، ونسأل الله من فضله .

ولكن دعونا نتساءل حقاً عن صلاتنا للاستسقاء، وعن حقيقة دعائنا وبكائنا ؟

فالقحط يتوالى، والينابيع تغور، نخرج أفواجاً ، لصلاة الاستسقاء في فترات متقاربة*،* ولكن الأرض لم ينبت نباتها ! ولم تخرج زينتها !

بل تزداد الشمس حرارة، والأرض جدباً، وقحطاً ، من هنا عباد الله نجد أنفسنا بحاجة لوقفة محاسبة فنتساءل عن حالنا مع الله ؟

فصلاة الاستسقاء وصلاة الخسوف ليست بمجرد ركعات نؤديها، ولا أدعية نحفظها ونلقيها ثم نعود إلى ما كنّا عليه.

صلاة الاستسقاء صدقٌ والتجاء، وذل وخضوع، وبكاء وتوبة ودموع، دعونا نقف مع أنفسنا ثلاث وقفات، نكشف بها حقائق وسرائر حالت بيننا وبين ربنا، فنحن على يقين أننا نرفع أكفنا إلى رب غني كريم، ونبسط أيدينا إلى أجود من سئل، ونمدُّ أيدينا إلى رب دعانا وأمرنا أن ندعوه فقال :

ﭽ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭼ غافر: ٦٠

فإذا رأيت أن الدعاء لا يجاب ، والبلاء لا يرفع فاعلم أنّ الجرم عظيم ، والذنب كبير ، ففتش عن الداء ، وخذ بأسباب الشفاء ، فتعالوا بنا لنقف مع ثلاث وقفات .

**الوقفة الأولى : ما حالنا مع التوبة ؟**

**الوقفة الثانية : ما حالنا مع التضرع والدعاء ؟**

**الوقفة الثالثة : ما حالنا مع النعم وشكرها ؟**

أسئلة ثلاث نعرضها على أنفسنا، نعم ما حالنا مع التوبة ؟

ونحن نعلم أنه ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا يرفع إلا بتوبة ، أليس الله قد أمرنا جميعا عند انحباس المطر، وحلول النقم أن نتوب إليه ونستغفره ؟ استمعوا إلى مناشدة نوح عليه السلام لقومه

ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼ نوح: ١٠ - ١١ أي: غزيرا متتابعا

تأملوا في نداء هود عليه السلام ﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ هود: ٥٢

عبد الله لنكن صرحاء ومن الخطأ أن نخادع أنفسنا ما حالنا مع التوبة ؟

ما أكثر الذين يخشون الله على ذنوب الناس، ولا يخشونه على ذنوبهم ؟

يا كرام .. إن سنة الله تأبى أن تترك العصاة والمعتدين بغير قصاص فالله لا يبدل أمن العباد خوفا ، ولا قوتهم ضعفا ، ولا غناهم فقرا؛ ليذيقهم المتاعب والآلام كلا ، فالله برٌّ بعباده ، لطيف بخلقه ؛ ولكن عندما يحسن الناس الأخذ ، ولا يحسنون الشكر ، عندما يمرحون في النعم ، وينسون مسديها ، وينعقد الإصرار على الخطيئة ، يجيء وعد الله ، تأمل هذه الآية الكريمة قال تعالى: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫﯬ ﯭ ﯮ ﯯﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭼ الأنفال: ٥٢ - ٥٣

انظر في هذا التعليل الدقيق البديع ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭼ

عبد الله .. التوبة كلمة عظيمة ، التوبة النصوح مفتاح لرحمة الله ، ونزول الغيث والبركات والخيرات ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭼ التوبة: ٧٤

كيف نرجو حصول الغيث وفي الناس جرأة على الظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل ؟

كيف نرجو حصول الغيث وفي الناس تهاونٌ بشعائر الله ، واعتداءٌ على حرمات الله ، وإلحادُ وفجور ، وتبرجٌ وسفور ، وتهاونٌ بالصلاة ، ومنعٌ للزكاة ، ناهيكم عن عقوق الآباء والأمهات ، والانتهاك للكبائر والمحرمات ؟

قال مالك بن دينار : أنتم تستبطئون نزول الغيث وأنا أستبطئ نزول حجارة من السماء إحياء علوم الدين (1/308) .

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ الأعراف: ٩٦

والله وتالله إن كل نقص يصيب العباد في علومهم وأعمالهم، وقلوبهم، وأبدانهم، وبلادهم، وأموالهم بسبب الذنوب والآثام ﭽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ الروم: ٤١

جاء في تفسير قوله تعالى ﭽ ﯔ ﯕ ﭼ البقرة: ١٥٩

أنّ الحشّرات تلعن عصاة بني آدم وتقول منعنا القطر بسببهم . فتحُ البيان في مقاصد القرآن (1/324) .

ذكر الذهبي ~ في السير: أن موسى بن نصير ~ لمّا دخل إفريقيا وجد غالب مدائنها خالية لاختلاف أيدي البربر، وكان القحط شديدا، فأمر بصلاة الاستسقاء، وأمر الناس بالتوبة، والصلاة، والصوم، والصلاح، وبرزَ بهم إلى الصحراء ، ومعه سائر الحيوانات ، وفرّق بين الإبل وأولادها ، وبين الدواب فوقع البكاء، والضجيج، وبقي الناس إلى الظهر يتضرعون ، ويبكون ، ثم خرج موسى بن نصير ، وصلّى بالناس ، وخطب فدعا الله وبكى فسقاهم الله غيثا مدرارا . [سير أعلام النبلاء (4/498)]

يا كرام .. إذا كثر الخبث محقت الأرزاق ، ونزعت البركات ، وعمّ الفساد ، والتوبة الصادقة ملاذٌ مكين، وملجأٌ حصين

ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ النور: ٣١

**الوقفة الثانية : ما حالنا مع الدعاء والتضرع ؟**

نحن نعلم أن الدعاء سلاح عظيم يستدفع به البلاء، وتفتح به أبواب السماء، فالله كريم ، وخزائنه لا تنفد ، فهل نحن ندعو الله بقلوبنا ؟

هل ندعو الله دعاء من نزلت به نازلة وحلّت به محنة ؟

هل نحن ندعو الله دعاء من مسّه الضر ؟

يصف ابن عباس{ حال النبي في صلاة الاستسقاء فيقول كان النبي يخرج متواضعا متبذّلا متخشعا متوسلا متضرعا . رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في المشكاة (1505).

وهذا أنس يقول : دخل أعرابي يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلاَ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ قَالَ شَرِيكٌ: فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ؟ قَالَ: «لاَ أَدْرِي». رواه البخاري.

وذكر الذهبي في السير: أنّ أمير الأندلس الخليفة الناصر دعا الناس للاستسقاء بعد قَحطَ النَّاسُ، فَأَمرَ الخليفة الناصر القَاضِيَ منذرَ بنَ سَعِيْدٍ بِالبُرُوزِ للاسْتِسْقَاءِ بِالنَّاسِ, فصَامَ أَيَّاماً وتأهَّب, وَاجتمعَ الخلقُ، وَصعِدَ النَّاصِرُ فِي أَعْلَى قَصرِهِ لِيشَاهِدَ الجمعَ, فَأَبطأَ مُنذرٌ, ثم قال لرسول الخليفة: هَا أَنَا سَائِرٌ للاستسقاء , فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَصْنَعُهُ الخَلِيْفَةُ فِي يَوْمنَا هَذَا, فَقَالَ: مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ أَخْشَعَ مِنْهُ فِي يَوْمِهِ هَذَا, إِنَّهُ مُنفردٌ بِنَفْسِهِ, لاَبسٌ أَخشنَ الثِّيَابِ, مُفترشٌ التُّرَابَ, قَدْ عَلاَ نَحِيْبُهُ وَاعْتَرَافُهُ بذنوبه, يَقُوْلُ: ربِّ هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ, أَتُرَاكَ تُعذِّبُ الرَّعِيَّةَ وَأَنْتَ أَحكمُ الحَاكمِينَ وَأَعدلُهُمْ, فَتَهَلَّلَ وجه القاضي مُنذرُ بنُ سَعِيْدٍ وَقَالَ: يَا غُلاَمُ, احملِ المِمْطَرَةَ مَعَكَ, إِذَا خَشَعَ جَبَّارُ الأَرضِ رَحِمَ جَبَّارُ السَّمَاءِ ثُمَّ خَرَجَ رَاجِلاً متخَشِّعًا، وَقَامَ لِيَخْطُبَ, فلمَّا رَأَى الحَالَ بَكَى وَنَشَجَ, وَافتَتَحَ خُطْبَتَهُ بِأَنْ قَالَ: سلاَمٌ عليكُمٌ, ثُمَّ سَكَتَ, فَنَظَرَ النَّاسُ بعضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ, لاَ يَدْرُوْنَ مَا عَرَاهُ, ثُمَّ انْدَفَعَ فَقَالَ: ﭽ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭼ الأنعام: ٥٤ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، وتقرَّبوا بِالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ لَدَيْهِ, فضجَّ النَّاسُ بِالبُكَاءِ, وَجَأَرُوا بِالدُّعَاءِ وَالتَّضرُّعِ, وَخَطَبَ فَأَبْلَغَ, فَلَمْ يَنْفَضّ القَوْمُ حَتَّى نَزَلَ غَيثٌ عَظِيْمٌ. سير أعلام النبلاء (13/239).

الله أكبر .. بمثل هذا التضرع والدعاء ينكشف البلاء ، وتفتّح أبواب السماء ، ويهزم الأعداء .

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

(( الثانية ))

**الوقفة الثالثة : ما حالنا مع النعم وشكرها ؟**

كلنا يعلم أن النّعم تغمرنا من كلّ مكان ، والمتحدث اليوم عن كفر النعم لا يدري عمّا ذا يتحدّث ؟

هل يتحدّث عن السرف والبذخ الذي لا يخلو منه بيت بل ولا تخلوا منه مناسبة ؟

أم يتحدّث عن موائد وأطعمة بُسِطَتْ للعيون لا للبطون ؟

أم يتحدّث عن سرف وترفٍ مهلك في ضياع نعمة العمر، والأوقات التي ضاعت أمام هذه الشاشات الساحرة، والتقنيات التي دمّرت الحياة والأوقات، والنبي يقول : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ " رواه البخاري .

يا كرام .. لنكن صرحاء إن النّعم اليوم أصبحت تجري بين أيدينا وعن أيماننا ، وعن شمائلنا ، ومن فوقنا ، ومن تحتنا ، فما حالنا مع شكر هذه النعم؟

إن من سنن الله تعالى التي لا تتبدّل أنّ العباد إذا تمتّعوا بالنعم ، وأسرفوا في المعاصي ، ولم ينزجروا بقسوة القلوب ، وجمود العيون ، وضنك البيوت ، ومنع الأمطار ، وغلاء الأسعار ، جاءتهم العقوبة التي تحمل في طياتها الخير والعطايا ، وفي باطنها العقوبة والبلايا .

إنها عقوبة الاستدراج بالنعم التي تساق على العباد ليلاً ونهاراً ، تعال معي إلى آيات من كتاب الله ﭽ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ الله عز وجل يكشف عن تاريخ لأممٍ فسقت وفجرت وكفرت ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ في أموالهم ، وفي أنفسهم ، وفي أحوالهم ، وأوضاعهم ، أزماتٌ اقتصادية ، حروب ، وكوارث ، جفافٌ في الأمطار ، أمراضٌ في الأبدان ﭽ ﯦ ﯧ ﭼ الأنعام: ٤٢ أتدري ما التضرع ؟ قال ابن الأثير في البداية : التَّضَرُّع هو : التذلُّلّ والمُبالَغة فِي السُّؤال والرَّغْبة .

ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ خدعهم بالسيئات ، برّر لهم المعاصي ، تبرير المعاصي ( نحن أفضل من غيرنا ) (نحن نفعل الصغائر ولا نرتكب الكبائر) وغيرها من صور التبرير .

ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﭼ هنا جاء الوعد الإلهي، التفكير البسيط يقول : أن العقوبة دمار ، وهلاك ، وخسف؛ ولكن هنا بدأت عقوبة من نوعٍ آخر إنها عقوبة الاستدراج بالنعم والخيرات ،

ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﭼ

لم يفتح لهم باباً بل أبواباً

وبدأت النعم تتوالى على العباد ، ثروات ماليّة ، خيرات تتدفق كالسيل الجاري بلا حواجز ، ولا قيود، ولا عناءٍ ولا كد ، صحةٌ في الأبدان ، أمنٌ في الأوطان ، رخاءٌ في العيش ، يدخل أحدنا اليوم إلى المحلات التجارية فيرى خيرات الدنيا تحيط به،

فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف،

نعمٌ ، ورغدٌ ، وأمنٌ ، واقتصاد حتى أصبحنا نتباهى بالنعم ، ونتفنن في عرضها وتصويرها ونشرها عبر السنابشات والتقنيات ﭽ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭼ غمرتهم الخيرات ، والأرزاق المتدفقة ، واستغرقوا في المتاع بها ، وعمّ فيهم البطر بالنعمة ، ونسيان المنعم فلا شكرٍ ولا ذكرٍ، عندها يجئ القبض لحظة الفرح، فكان أخذهم على غرة، أخذهم وهم في سهوة وسكرة.

ﭽ ﰇ ﰈ ﭼ أتدري كيف يكون الأخذ ؟

انظره في سورة هود في قوله تعالى ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ هود: ١٠٢

ﭽ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﭼ قال ابن كثير ~ : أي: آيسون من كل خير . تفسير القرآن العظيم (3/229).

نسأل الله أن يحفظنا بحفظه ..